السياسة الخارجية الروسية اتجاه دول شرق أوروبا

الاحتلال الروسي على أوكرانيا انموذجًا

الباحث محمد أحمد خليل

المركز السوري سيرز 10.04.2022

مقدمة البحث:

تراجع دور روسيا على المستوى الدولي بعد نهاية الحرب الباردة، وحصول تغيرات في شكل النظام الدولي، وتحوله إلى نظام أحادي القطبية مع صعود الولايات المتحدة الأمريكية، وكانت تعاني روسيا من ضعف وتراجع في تسعينيات القرن الماضي، لكن بدأت تستعيد أنفاسها وتجمع قواها، وكان بداية عودتها على الساحة الدولية عام 2008م إثر تدخلها العسكري في جورجيا، وقد كان لروسيا مصالح قومية عليا لا يمكن التساهل بها أو تجاهلها.

حيث تمتلك روسيا نزعة إمبراطورية فلا تستطيع أن تبقى داخل حدودها بدون مدى حيوي لها وامتدادات خارجية، فإن روسيا تاريخياً تعتقد أن جهود بلد واحد لا تكفي لتحقيق القوة والنفوذ لها خصوصاً إذا كان بلداً فلاحياً مثل روسيا مما يقضي بمد نفوذها إلى دول أخرى، وقد عرف المجال الجيوبولتيكي لدول أوروبا الشرقية فراغاً استراتيجياً ظرفياً شد أطماع العديد من القوى الإقليمية والدولية نظراً للمزايا التي يتمتع بها هذا المجال الجيوبولتيكي بالنسبة إلى تلك القوى وبالنسبة إلى توازن القوى الشامل، وكانت أوكرانيا من بين دول شرق أوروبا التي استقلت عن الاتحاد السوفييتي بعد تفككه، وهي تشكل أهمية بالغة لروسيا التي تسعى إلى مد نفوذها وإعادة بناء أمجادها، وبعد استقلال أوكرانيا يوجد حالة من الصراع بين روسيا وأوكرانيا سيتم الحديث عنها في هذا البحث، وسيتم الحديث بشكل مفصل عن التدخل العسكري الروسي في أوكرانيا في شباط عام 2022م.

يتناول المبحث الأول الحديث عن الأهمية التي تمتلكها أوكرانيا بالنسبة لروسيا من الناحية الاقتصادية (الزراعية–الصناعية–التجارية)، ومن الناحية الجيبولوتيكية وأهمية موقع اوكرانيا بالنسبة لروسيا، والأهمية الحضارية لأوكرانيا.

أما المبحث الثاني يسلط الضوء على التدخل العسكري الروسي في أوكرانيا عام 2022م، مبين أسباب ودوافع التدخل مع تناول الأزمات السابقة بين البلدين، **وإجراء مقارنة بين التدخل الروسي في كل من سوريا وأوكرانيا من حيث أدوات التدخل في كلا البلدين.**

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث من خلال التعرف على أهمية أوكرانيا بالنسبة لروسيا ومصالحها فيها، ومعرفة الدوافع التي أدت إلى احتلال روسيا لأوكرانيا مع بداية عام 2022م، وإجراء مقارنة ما بين الاحتلال العسكري الروسي لسوريا منذ عام 2015م، والاحتلال الروسي لأوكرانيا في عام 2022م.

إشكالية البحث:

ما مدى أهمية أوكرانيا على المستوى الدولي، وأهميتها لروسيا بشكل خاص، ويتفرع عن هذه الإشكالية التساؤلات التالي:

1. ما مدى أهمية أوكرانيا بالنسبة لروسيا؟
2. ما هي الدوافع التي أدت إلى الاحتلال الروسي على أوكرانيا؟
3. ما أوجه الشبه والاختلاف في الاحتلال الروسي على أوكرانيا وسوريا؟

فرضية البحث:

تعتبر أوكرانيا من أهم الدول بالنسبة للسياسة الروسية في توسيع نفوذها، وفرض وجودها على المستوى الدولي، وإعادة أمجاد الاتحاد السوفييتي.

مناهج البحث:

المنهج الوصفي: اعتمد البحث على المنهج الوصفي للحديث عن أهمية أوكرانيا من كافة الجوانب السياسية والاقتصادية والعسكرية، ومصالح روسيا في أوكرانيا.

المنهج المقارن: اعتمد البحث على هذا المنهج لإجراء المقارنة بين الاحتلال الروسي لسوريا عام 2015م، والاحتلال الروسي لأوكرانيا عام 2022م.

المفاتيح الأساسية في البحث:

السياسة الخارجية: هي برنامج العمل العلني الذي يختاره الممثلون الرسميون للوحدة الدولية من بين مجموعة البدائل البرنامجية المتاحة من أجل تحقيق أهداف محددة في المحيط الخارجي.[1]

الحرب السيبرانية: عبارة عن هجمات الكترونية بقيادة عسكرية تقوم باختراق الأنظمة الالكترونية العالمية وكل ما يعتمد على التكنولوجيا، لتضر بالحواسيب والأجهزة التي تستخدم شبكة الانترنت العالمية.

الجيوبوليتيك: هو علم دراسة تأثير الأرض على السياسة.

هيكلية البحث:

المبحث الأول: أهمية أوكرانيا بالنسبة لروسيا

- **المطلب الأول: الأهمية الاقتصادية**
- **المطلب الثاني: الأهمية الجيبولوتيكية**
- **المطلب الثالث: الأهمية الحضارية**

المبحث الثاني: السياسة الخارجية الروسية اتجاه أوكرانيا

- **المطلب الأول: التدخل الروسي في أوكرانيا عام 2022م.**
- **المطلب الثاني: مقارنة بين التدخل الروسي لكل من أوكرانيا وسوريا.**

[1] محمد السيد سليم، تحليل السياسة الخارجية، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثانية، 1998، ص 12.

المبحث الأول: أهمية أوكرانيا بالنسبة لروسيا

قام زبيغنو بريجنسكي في كتابه رقعة الشطرنج الكبرى إلى تقسيم عدد من الدول على المستوى الدولي إلى لاعبون جيواستراتجين ومحاور جيبولوتيكية، فاللاعبون الجيواستراتجين هم الدول التي تمتلك القدرة والإدارة القومية على ممارسة القوة والنفوذ في ما وراء حدودها، أما المحاور الجيبولوتيكية فهي الدول التي لا تأتي أهميتها من قوتها وحوافزها بل من خلال مواقعها الحساسة ومن نتائج شروطها وظروفها التي تكون غالباً غير منيعة إزاء سلوك اللاعبين الجيواستراتيجين، وقد صنف بريجنيسكي أوكرانيا من الدول المحورية وأنها تحتل مكان هام في رقعة الشطرنج الأوراسية، حيث أن وجودها ذاته كدولة مستقلة يساعد على تحويل وتغيير موقف روسيا، فروسيا بدون أوكرانيا لا تشكل إمبراطورية أوراسية، فإذا استعادت روسيا سيطرتها على أوكرانيا سيعيدها بشكل أتوماتيكي لتصبح دولة إمبراطورية، لما تمتلكه أوكرانيا من موارد وعدد سكان، ووجودها أيضاً على البحر الأسود.

لذلك فإن أوكرانيا تعتبر من أهم الدول بالنسبة للتوسع الروسي على المستوى الدولي مما تملكه أوكرانيا من موارد وموقع حساس، وفي هذا المبحث سيتم الحديث عن أهمية أوكرانيا الاقتصادية والجيبولوتيكية والحضارية لروسيا.

المطلب الأول: الأهمية الاقتصادية

يعتبر العامل الاقتصادي محدد رئيسي للسياسة الخارجية للدولة، وهذا ما ينطبق على أوكرانيا فمن الناحية **الزراعية** فأنها تمتلك موارد وإمكانيات زراعية ضخمة، مما جعلها تحتل المراتب الأولى في إنتاج وتصدير القمح، نتيجة مناخها الملائم وجودة أراضيها الزراعية، حيث يمثل القمح من 40% إلى 50% من إنتاجها لمحاصيل الحبوب، فقد احتلت أوكرانيا في عام 2009 المرتبة الثالثة عالمياً بعد الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الأوروبي في تصدير القمح ومتفوقة على كل من روسيا وكندا.

كما تعتبر أوكرانيا بلد زراعي بامتياز حيث شكلت مورد غذائي كبير للاتحاد السوفييتي سابقاً، كما تنظر إليها موسكو على أنها خزان زراعي ضخم قادر على تحقيق الأمن الغذائي، كما تشكل إحدى أهم الدول غنى على صعيد الثروات المعدية، حيث تكتنز الراضي الأوكرانية ثروات هائلة تتركز في شرق البلاد ويكل الحديد والفحم الحجري والمغنيزيوم والألمنيوم أهم هذه الثروات، وقد أدى تواجد هذه الثروات إلى بناء قاعدة صناعية أوكرانية متخصصة في إنتاج الحديد والصلب.[2]

كما أن دولة أوكرانيا دولة ذا أهمية اقتصادية بالنسبة لروسيا ، وأهم ما يميزها التربة الزراعية السوداء والموقع الجغرافي المتميز ، حيث أن المقومات الطبيعية خصوصاً الزراعية والموقع الاستراتيجي لأوكرانيا جعلتها منطقة صراع من قبل القوى الاستعمارية ، فقد كانت فترات الاحتلال من أجل السيطرة على الأراضي الزراعية الخاضعة لها ، كما تقع أوكرانيا في المنطقة الشرقية من القارة الأوربية يحدها من الشرق دولة روسيا ومن الجنوب البحر الأسود ، وتقع بين بولندا و رومانيا، كما تكمن أهمية الموقع الجغرافي في أنها نقطة التقاء بين القارة الأسيوية والأوربية ، كما تبلغ مساحة أوكرانيا 603700 كم 2، وتوجهت أوكرانيا إلى اقتصاد السوق "الانفتاح الاقتصادي" بعد انهيار الاتحاد السوفييتي التي كانت عضواً فيه، الذي كان يتبنى النظام الاشتراكي ومركزية الأسواق، وكانت أوكراني تحتل المرتبة الثانية اقتصادياً بين دول الاتحاد السوفييتي، وتعتمد أوكرانيا على تربتها الخصبة في إنتاج المحاصيل الزراعية، كما تمتلك أوكرانيا بعض الصناعات الهامة كالطاقة والوقود والمواد الحديدية وغير الحديدية والأخشاب والبتروكيماويات، ونتيجة للأزمة الاقتصادية العالمية والتي أدت إلى ركود في الاستثمار وبالتالي انخفاض أسعار المنتجات المعدنية، والميكانيكية مما أدى الى وجود خلل في عملية التصنيع من أجل التصدير.[3]

كما تغطي ثلثي مساحة أوكرانيا التربة السوداء وهي الأكثر خصوبة في العالم وتعتبر جزءاً مهماً من الثروة القومية ، وذلك ما جعل كبريات شركات صناعة الأغذية الغربية تسعى لدخول هذه المنطقة المحتكرة من طرف الشركات الوطنية لاستغلال مواردها ، بحيث تؤمن الزراعة في أوكرانيا حوالي 10.5 % من إجمالي

[2] بوستي توفيق، توجهات السياسة الخارجية الروسية نحول دول أوروبا الشرقية: دراسة حالة أوكرانيا، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة الجزائر، 2016، ص 193.

[3] إيمان أشرف أحمد محمد شلبي، الأبعاد الدولية للأزمة الأوكرانية، المركز الديمقراطي العربي1ن 2016، على الرابط التالي: https:// u.pw/hfNRF2 .

الناتج المحلي الوطني، كما توظف ربع السكان العاملين، وأوكرانيا تمتلك 42.8 مليون هكتار من الأراضي الزراعية التي تضم 71 % من المساحة الكلية للبلاد ، منها 32.5% مليون هكتار صالحة للزراعة، وأوكرانيا لديها مناخ ملائم للزراعة على نطاق واسع، وهي غنية بتربة" شيرنوزيم "و المعروفة بالتربة السوداء، والتي هي من أخصب الأتربة الزراعية في العالم و ذا مردودية عالية.

أما بالنسبة **للصناعة** في منتصف الثمانينات أقامت أوكرانيا صناعة متطورة متعددة الأفرع تغطي حوالي 20 صناعة كبرى، وبالأخص توليد الطاقة و الوقود والاستخراج ومعالجة المواد الحديدية وغير الحديدية ،و الصناعات البتروكيماوية والصناعات الغذائية والصناعات الخفيفة، ويعد قطاع الطاقة من أكثر القطاعات إنتاجية في أوكرانيا حيث أنتجت في 2013 فقط 193.8 مليار كيلو واط/ ساعة خاصة من المحطات النووية (التي ورثتها أوكرانيا عن الاتحاد السوفييتي) و التي تغطي ما نسبته 43% من إنتاج الطاقة، كما تمتلك أوكرانيا 250 منجماً للتعدين، وأكثر من 41 ألف شركة تعمل في مجال الاستخراج و معالجة المعادن من بينها أكبر مصانع الصلب في العالم، كما تنتج أوكرانيا: القطارات، الحافلات ،السفن والطائرات والسيارات ومحركات الطائرات، ويتركز الجزء الأكبر من الصناعة في حوض دونتيسك، أين تتوفر مناجم الحديد والفحم.

وقد شهدت أوكرانيا في عشرينات القرن العشرين مرحلة من التصنيع السريع، خاصةً في كييف والمناطق الشرقية مستفيدة من خيراتها الطبيعية الكبيرة في قطاع المناجم والتعدين، إضافة إلى إنشاء أكبر محطة أوروبية لتوليد الطاقة الهيدرولوجية فيها على ضفة نهر الدنيبر أحد أكبر الأنهار الأوروبية، مما ساهم بشكل كبير في توزيع الكهرباء على نطاق واسع في البلاد.[4]

كما تلعب أوكرانيا دور منطقة عبور بالنسبة للسلع **والتجارة** الخارجية الروسية إلى الأسواق الأوروبية وذلك بسبب العجز الذي تعيشه الموانئ الروسية على بحر البلطي والبدر الأسود وعدم قدرتها على التصدير إلى أوروبا ، حيث أن روسيا تصدر نحو 40 % من سلعها عبر أوكرانيا ، ونجد بأن 94 % من إجمالي الغاز والطاقة الذي تستهلكه أوروبا من روسيا يمر عبر الأراضي الأوكرانية ما يسمى بالمثلث الطاقوي: حيث يكون

[4] محمد الكوخي، الأزمة الأوكرانية وصراع الشرق والغرب: جذور المسألة ومآلاتها، المركز العربي للأبحاث والدراسات السياسية، 2015، ص35.

الإنتاج روسي والتوزيع أوكراني والاستهلاك أوروبي من خلال الخط المعروف بخط "دورشا أي خط الصداقة"، بينما يمر 3% من الغاز الروسي المصدر إلى أوروبا عبر أراضي بيلاروسيا، بالمقابل فإن روسيا تعتبر أكبر سوق للسلع الأوكرانية التقليدية خاصة في المجال الزراعي والمجال الصناعي والهندسة الميكانيكية والصناعات المعدنية والكيماوية.[5]

كما شهدت الاستثمارات الروسية في الاقتصاد الأوكراني ارتفاعاً ملحوظاً، حيث تحتل روسيا في هذا المجال المرتبة السابعة بين المستثمرين الأجانب، ويبلغ مجموع الاستثمارات الروسية أكثر من 1,3 مليار، في حين تأتي نسبة الاستثمارات المصرفية الروسية في المرتبة الخامسة من مجموع الاستثمارات المصرفية الأجنبية، وسلجت في أوكرانيا رسميا 2109 شركة ومؤسسة برأس ما روسي وأكثرها صناعية، كما ازداد التجاري بين البلدين في عام 2010 بمقدار مرتين بالمقارنة مع الفترة ذاتها في عام 2009، وبلغت قيمته 2132,8 مليون دولار بما فيها 1039,9 مليون دولار من الصادرات الروسية إلى أوكراني الزيادات بنسبة % 272,2 و 592,9 مليون دولار من الصادرات الأوكرانية إلى روسيا (الزيادة بنسبة 125%) مما يجعل الاستراتيجية الروسية في بعدها الاقتصادي تعطي أهمية كبيرة لأوكرانيا لحماية مصالحها الحيوية.[6]

لكن بعد تفكك الاتحاد السوفيتي وعلى الرغم من امتلاك أوكرانيا موارد ضخمة إلا أنها عرفت مشاكل اقتصادية قوية أثرت بشكل كبير على مستوى معيشة السكان حيث ازدادت معدلات الفقر وشهدت تضخماً في الأسعار بسبب سياسة الحكومة المالية، حيث شهد الاقتصاد الأوكراني ما بين سنوا لكن بين سنوات 1991 و 1994 شهد الاقتصاد الأوكراني تراجعاً كبيراً و خسائر وصلت حد 40.4 %من إجمالي الناتج المحلي، و بلغ التضخم أعلى مستوياته سنة 1993 ، و مع بداية سنة 1994 بدأت الحكومة بتطبيق استراتيجية إصلاحات جديدة للاقتصاد، قد تضمنت النتائج الأولية لهذه المرحلة انخفاض التضخم و استقرار الاقتصاد، كما زاد الاستثمارات الأجنبية المباشرة ب 5.8 مرة خلال 1998، و بدأ مرحلة الاستقرار الاقتصادي في النصف الأول من سنة 1997 ، لكن مع /1995 بداية سنة 1998 وبسبب الأزمة المالية التي أصابت روسيا توقف نمو الاقتصاد الأوكراني ليعاود صعوده من جديد بعد سنة 1999 بوتيرة جيدة بين

[5] بوستي توفيق، مرجع سابق، ص 196.
[6] ممدوح عبد المنعم، روسيا تنادي بحق العودة على القمة، مركز الأهرام للترجمة والنشر، ط1، 2013، ص 77.

3 و 12 % ، لكن معدلات النمو بدأ تعرف ارتفاعات بداية من سنة 2000، وتراوحت بين 5 إلى 10 % ويرجع هذا التحسن في الحالة الاقتصادية إلى مساهمة القطاع الصناعي بشكل كبير حيث كان هذا القطاع ينمو بمعدلات تتجاوز 10 % سنوياً.[7]

أما بعد الثورة البرتقالية في عام 2004 دخلت أوكرانيا مرحلة النمو الاقتصادي الذي استمر ثلاثة أعوام، حيث اعتبر المستثمرون الأجانب انتخاب الرئيس" يوشينكو "خطوة إيجابية ووظفوا في الاقتصاد الأوكراني 31 مليار دولار كاستثمارات أجنبية مباشرة، فقد كانت سنوات تتميز 2005\2008 بالنمو الاقتصادي المتسارع في القطاع المصرفي، البناء والاتصالات السلكية واللاسلكية والصناعة التحويلية.

على الرغم من التباين الشديد في العلاقات الثنائية التجارية، فأوكرانيا تلعب دورا اقتصادات مهما لروسيا، فأوكرانيا هي أكبر بلد عبور للنفط الروسي والأهم من ذلك الغاز الى الاتحاد الأوروبي 80 % من الغاز الروسي المقرر للسوق الأوروبية الذي يمر عبر أوكرانيا، فأوروبا تستورد أكثر من 40 % من استهلاكها من الغاز من روسيا، ومن الجدير بالذكر أن الخلاف بين روسيا وأوكرانيا في عام 2006 قد أدى الى توقف امدادات الغاز الروسي الى أوروبا في منتصف فصل الشتاء الأمر الذي أدى الى رفع أسعار الغاز، كما تمر بأوكرانيا العديد من خطوط أنابيب الغاز التي تمد شرق أوروبا بالطاقة و 13 % من الغاز الذي يمتد مده للاتحاد الأوروبي عموماً يمر عبر أوكرانيا مما يجعل المسيطر على الوضع هناك يمتلك ورقة ضغط قوية، فهي قطعة هامة في قطع الصراع الروسي – الغربي، وكلا الجانبين يرغب الحصول على تلك القطعة لتعزيز موقفه في الصراع.

كما أنه بعد انهيار الاتحاد السوفيتي أصبحت أوكرانيا واحدة من أهم مجالات التنافس بين روسيا والولايات المتحدة الأمريكية والدول الأوروبية وخاصة روسيا وألمانيا، وتعتبر أوكرانيا كحديقتها الخلفية لفترة طويلة لأنه ينقل النفط والغاز عبر أوكرانيا إلى الدول الغربية، ونتيجة لهذا الواقع كان ولاء أوكرانيا حاسما بالنسبة للاقتصاد الروسي للزيادة دون انقطاع، والقرب من أوكرانيا ويقدم بشكل طبيعي لانخفاض أسعار النفط والغاز في مقارنة مع الدو الأوروبية الأخرى ، وبالإضافة لكونها تحت الضغط السياسي والاقتصادي فأوكرانيا تعاني

[7] بوستي توفيق، مرجع سابق، ص 199.

من العدوان الروسي ونتيجة لذلك احتلت أجزاء واسعة من المناطق دونيتسك وهانسك، حتى لا تصبح رهينة لروسيا – أوكرانيا المواجهة لفترة طويلة كانت أوروبا تسعى الى تنويع واردات النفط والغاز من منطقة بحر قزوين، وخط أنابيب سيتم توريد الغاز من كازاخستان لأوروبا وتركيا عبر أذربيجان وجورجيا واليونان ، ويدعى هذا المشروع باسم مشروع القرن الذي سوف يساعد على تعزيز العلاقات، وتعاون أوثق بين تلك البلدان على روسيا.[8]

هكذا فإن أوكرانيا تشكل أهمية كبيرة من الناحية الاقتصادية بالنسبة لروسيا على كافة الأصعدة الزراعية والصناعية والتجارية.

المطلب الثاني: الأهمية الجيبولوتيكية

حصلت أوكرانيا على استقلالها في عام 1991م عقب انهيار الاتحاد السوفييتي، فقد كانت قبل ذلك من بين الجمهوريات الخمس عشرة التي تمتعت بحكم ذاتي في الاتحاد السوفييتي، وكانت معظم أراضيها قبل انتصار الثورة البلشفية في عام 1917م جزء من الإمبراطورية الروسية، في حين كان جزء غربي(منها يخضع لإمبراطورية النمسا والمجر وجزء أخر لبولندا وكانت شبه جزيرة القرم تخضع للسلطنة العثمانية قبل أن تنتزعها منها ر وسيا بعد حرب دموية طويلة بين عامي 1768 م و1774 م، وعقب انتصار الثورة البلشفية في عام 1917 م شهدت الإمبراطورية الروسية حرب أهلية عنيفة بين الجيش الأحمر والجيش الأبيض الموالي للقيصر والقوى الأوروبية نشبت خلالها معارك كثيرة على الأراضي الأوكرانية، وفي هذه الأجواء الفوضوية ألف مجلس لأوكرانيا الوسطى في كييف (البرلمان الأوكراني) وأعلن المجلس الحكم الذاتي للمنطقة الغربية من أوكرانيا الحديثة، قبل أن يعلن استقلالها عن روسيا.[9]

حيث تمثل الجغرافيا المسرح الذي تصادمت عليه الأمم طوال التاريخ، وهي عامل مهم في السياسة الدولية بوصفها العنصر الدائم والثابت ، ولهذا تحدد الجغرافيا رؤى قادة الدول، وتؤثر في صناعة قراراتهم في مجال السياسة الخارجية ، وخاصة ضمن ما عرف بعلم الجيوبولتيكس الذي يرتبط "بشكل وثيق بالجغرافيا

[8] بوستي توفيق، مرجع سابق، ص 199.
[9] محمد الكوخي، مرجع سابق، ص 31.

الاستراتيجية التي تهتم بالسيطرة على المناطق المؤثرة في أمن الدو ورفاهيتها وتأمين الوصول إليها، حيث أن فكرة الجيوبولتيكا الأوكرانية تتمركز حول مدى العمق الذي تحتله أوكرانيا عالمياً، باعتبار أن أوكرانيا على مر السنين حتمت عليها جغرافيتها بأن تكون جزء من روسيا وجزء من أوراسيا لأنها تمثل جسر ربط بين الحيز الأوروبي والفضاء الأوراسي، وفي هذا السياق أكدت تلك الميزات التي تجعل موقع أوكرانيا الجيوسياسي له جاذبية هي أراضيها الكبيرة وعدد سكانها الضخم، فضلا عن موقعها الاستراتيجي الهام كدولة مطلة على البحر الأسود، فهي دولة حدودية مع الدو الأعضاء في الاتحاد الأوروبي.

وتعتبر أوكرانيا جسراً بين أوروبا وروسيا الاتحادية ومن الجانب الأخر تعتبر منطقة عازلة فيما بينهما، وفي هذا الصدد فموقف أوكرانيا هو أنها جزء من قلب المنطقة الواقعة بين الشرق والغرب حتى أن أي حالة عدم الاستقرار على أراضيها يؤثر بشكل كبير على الساحة الدولية، فالأسباب الأساسية للأزمة الأوكرانية هي الخلافات السياسية والثقافية والاجتماعية بين الشرق والغرب سيما أن الأزمة أدت الى قتل الألاف من الأشخاص وأدت الى لجوء الكثير منهم.

وتمتلك أوكرانيا موقعاً استراتيجياً مهماً في أوروبا الشرقية كونها ملتقى للعديد من الطرق الآسيوية والأوروبية، يحدها شرقا روسيا، وشمالاً بيلاروسيا وغرباً سلوفاكيا والمجر ومن الجنوب الغربي رومانيا ومولدوفا، وجنوباً البحر الأسود وبحر آزوف، وما يضاعف من أهمية أوكرانيا عنصران متداخلان: أولها الأهمية الرمزية لشبه جزيرة القرم التي أهداها الزعيم السوفياتي الأوكراني الأصل "نيكيتا خروتشيف" إلى كييف في العام 1954م بمناسبة المئوية الثالثة لاعتراف أوكرانيا بالسيادة الروسية، وثانيها الأهمية الاستراتيجية للقرم باعتبارها تأوي الأسطول البحري الروسي في البحرين الأسود والأبيض ونافذته إلى المياه الدافئة وقاعدته في مدينة سيفاستوبول، فشبه جزيرة القرم تمتد في شمال البحر الأسود، ولا تتصل بالبر القاري الا من خلال شريط ضيق من جهة الشمال، ويحدها من الشرق بحر أزوف، ومساحتها 26 ألف كيلو متر مربع، وسكانها مليوني نسمة وفقًا لتعداد 2001 م، أهم مدنها هي العاصمة سيمفروبل، وكان اسمها فيما مضى المسجد الأبيض

قبل أن تستولي عليها روسيا، كما اشتهر سابقا بوقوع حرب القرم بها في القرن التاسع عشر، كما توجد بها مدن أخرى أقل أهمية مثل: كيرشوفيادوسيا وبيلاغورسك وسوداك وجانكوك.[10]

وقد بقيت شبه جزيرة القرم ذات أهمية استراتيجية قصوى في لعبة توازن القوى خلال القرن العشرين وقد احتفظت هاذه الأهمية خلا القرن الحالي، وذلك لاحتوائها على أكبر قاعدة بحرية روسية تعد الوحيدة من نوعها في المياه الدافئة، وهي مقر أسطول البحر الأسود الروسي، ومن مدنها المهمة أيضاً يالطا (مدينة ساحلية سياحية جميلة، وقد عُقد فيها مؤتمر يالطا بين قادة الحلفاء في الحرب العالمية الثانية في فيفري عام 1945 م ستالين وروزفلت وتشرشل، أما مدينة سيفاستوبول فهي الميناء الذي كان يؤوي أسطول الاتحاد السوفييتي الضخم، والذي أصبح محل نزاع بين روسيا وأوكرانيا، أما الأهمية العسكرية لشبه جزيرة القرم تتمثل بعدة عوامل من أهمها: موقعها الجغرافي من منابع النفط في القفقاس أسيا الوسطى، بالإضافة الى اطلالها على البحر الأسود المرتبط بمياه البحر المتوسط، وتتوافر شبه جزيرة القرم على أكبر قاعدة بحرية في ميناء سيفاستوبول الذي يقع على الساحل الجنوبي لشبه جزيرة القرم، وهو مقر أسطول البحر الأسود الروسي الذي يضم الآلاف من عناصر القوة البدرية منذ الحقبة السوفيتية.[11]

كما تحتل أوكرانيا مكاناً جديداً ومهما في رقعة الشطرنج الأوراسية، وبالتالي فهي دولة محورية في الجغرافيا السياسية، لأن وجودها ذاته كدولة مستقلة يساعد على تحويل أو تغيير موقف روسيا الاتحادية، لذلك فقد شبّه مستشار الأمن القومي الأميركي الأسبق زبغينيو بريجنسكي في كتابه " رقعة الشطرنج الكبرى، 1998 المنطقة التي توجد بها أوكرانيا برقعة الشطرنج، ورأى أن أي صراع جيوسياسي بها سيكون بين كل من حلف شمال الأطلسي روسيا، الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة الأميركية، واعتبرها أحجاراً أساسية فيه.

المطلب الثالث: الأهمية الحضارية

لقد عرفت أوكرانيا في تاريخها الحديث عمليات إعادة تشكل متكررة لحدودها الجغرافية، الأمر الذي كان له تأثير كبير في هويتها العرقية واللغوية والثقافية، حيث اقتطعت جزر من الأراضي البولندية في منطقتي

[10] بوستي توفيق، مرجع سابق، ص 203.

[11] عماد علو، الأبعاد الاستراتيجية لإعادة روسيا ضم شبه جزيرة القرم، 2014، على الرابط التالي: www.azzaman.com .

غالسيسيا وفولهينيا وألحقتا بالجمهورية الأوكرانية، ما أضاف إلى أوكرانيا نسبة من السكان من أصول بولندية، واقتطعت أجزاء من شمال رومانيا ونقلت سيادتها إلى أوكرانيا، واقتطع جزء من مولدوفا مما أضاف سكان من أصل روماني ومولدوفي إلى تركيبة السكان في أوكرانيا، وفي عام 1945 تم اقتطاع جزء من شرق تشيكوسلوفاكيا، ونقلت سيادته الى أوكرانيا.[12]

وتعتبر أوكرانيا دولة شقيقة لروسيا الاتحادية بالمعيارين العرقي والمذهبي، وقد بقيت على مدى قرون ركن أساسي في القوة السلافية الأرثوذكسية، وكانت مندمجة في الإمبراطورية الروسية منذ القرن السابع عشر للميلاد، كما أن هناك أيضا تشابهات عدة بين واقع الشرق الأوكراني والواقع القائم في بيلاروسيا، التي تستمد من ماضيها مع سائر الروس (سكان أوكرانيا وروسيا الاتحادية) انتماءها إلى الدائرة الثقافية السلافية البيزنطية ، خسارة أوكرانيا بالنسبة الى روسيا الاتحادية ليست خسارة جيوسياسية وحسب بل خسارة لجزء من التاريخ والذاكرة ومكونات الهوية الروسية.

وفي آخر إحصاء أجري عام 2001 تعد منطقة القرم الوحيدة في أوكرانيا يمثل المواطنون من القومية الروسية أغلبية فيها، في حين تهيمن القومية الأوكرانية على مجمل أرجاء البلاد، وتبلغ نسبة السكان من أصل أوكراني نحو 77.8 % من السكان ، يليهم الروس بنحو 17.3 % ، ثم البيلاروس بنحو 0.6%، ثم التتار بنحو 0.5 % ، تضاعفت أعداد هؤلاء بشكل ملحوظ في العقد الأخير بعد انهيار الاتحاد السوفيتي وإصدار الحكومة الأوكرانية قانوناً يسمح للتتار بالعودة الى شبه جزيرة القرم، لكن الخريطة اللغوية لأوكرانيا تختلف عن الخريطة العرقية، حيث يوجد عدد كبير من الأوكرانيين في شرق البلاد خصوصاً، يتحدث اللغة الروسية ويعرف نفسه بأنه روسي أو من أصل روسي، على الرغم من أن الوثائق الرسمية تصنفهم ضمن القومية الأوكرانية، كما هناك عدد كبير من الروس يتحدث الأوكرانية.

كما شهدت أوكرانيا خلال تاريخها الحديث ما سمي سياسة روسيفيكاتسيا بمعنى نشر الروسية على نطاق واسع، من خلا نشر اللغة والثقافة الروسيتين وتوطين مهاجرين روس في الأراضي الأوكرانية ، وذلك طوال فترة الإمبراطورية الروسية والاتحاد السوفيتي بين عامي 1709 و 1991 بشكل مباشر أو غير مباشر

[12] محمد كوخي، مرجع سابق، ص 35.

باستثناء لحظا تاريخية قليلة أعيد الاعتبار فيها الى اللغة والثقافة الأوكرانيتين ، لذا نجد أن نسبة كبيرة من سكان أوكرانيا تنحدر من أصول روسية، خصوصاً في المناطق الشرقية من البلاد، إضافة لانتشار استخدام اللغة الروسية في أوساط الأوكرانيين في مناطق عدة غرب البلاد، خصوصاً في المدن الكبرى ، وتعد أوكرانيا أول بلد في العالم يضم ناطقين باللغة الروسية من أصل غير روسي، بسبب السياسات التعليمية التي كانت، تولي اللغة الروسية ومناهجها أهمية كبيرة، ويرى البعض بأن هؤلاء يمثلون بين ثلث سكان أوكرانيا ونصفهم، ولكن عقب انهيار الاتحاد السوفيتي واستقلا أوكرانيا في عام 1991 ، تبنت السلطات الأوكرانية الجديدة سياسة " أوكرينيزاتسيي " بمعنى نشر الأوكرانية، في مقابل نشر الروسية فأعيد الاعتبار الى اللغة الأوكرانية باعتبارها لغة رسمية للبلاد في الدستور الجديد بعد الاتحاد السوفيتي، وجرى توسيع مجال تداولها في التعليم والإدارة والاعلام والحياة العامة وحتى في الكنيسة، ونتيجة لذلك عاد الأوكرانية لتحل محل الروسية لغة رسمية مهيمنة في البلاد.[13]

وينتمي الروس والأوكرانيون من الناحية الإثنو– لغوية إلى الفرع السلافي الشرقي، كما أن الديانة السائدة فيهما هي المسيحية الأرثوذكسية، والتي تعتبر موسكو مركزها الأساسي، و حاملة رسالتها بين الشعوب السلافية، والوصية على الإرث البيزنطي منذ الانشقاق التاريخي الذي حصل بين روما والقسطنطينية في عام 1054 م.

وتتكون أوكرانيا من مزيج من الأقليات يقطنها الروس في المناطق الجنوبية والشرقية، حيث تتوزع على المناطق الصناعية وعلى أطراف البدر الأسود، إذ يمكن لروسيا أن توظفها لصالحها كنقطة قوة وتأثير اقتصادي وسياسي داخليا على أوكرانيا، وأيضا لدعم وتأييد العلاقات مع روسيا والانفصال عن الغرب، فأوكرانيا الموحدة تقسم الى عدة شرائط تتف مع مجموعة ألوان الوقائع الجيوبولتيكية والأثنوثقافية[14]:

1–أوكرانيا الشرقية: (كل ما يمتد شرقي الدنيبر من تشيرنيغوف حتى بحر أزوف) وتمثل منطقة كثيفة السكان ترجح بينهم غالبية الأتنوس الروسي والسكان الأرثوذكس من روسيا الصغرى، وهذه البقعة قريبة دون

[13] محمد الكوخي، مرجع سابق، ص 38.
[14] ألكسندر دوغين، أسس الجيوبوليتيكا: مستقبل روسيا الجيوبولتيكي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2004م، ص 432.

شك من روسيا وترتبط بها ثقافياً تاريخياً واثنياً ودينياً، وهي منطقة معمورة بشكل ممتاز، متطور تقنيا، ويمكنها أن تشكل منطقة جيوبولتيكية مستقلة ذات استقلال ذاتي واسع لكن ضمن حلف غير مشروط وعلى أشد الاتثاق على موسكو، ويفضل هنا التكامل وفقا لخطوط الطول وارتباط منطقة خاركوف بالمساحات الروسية الأكثر توضعا نحو الشمال وتوسيع هذا التركيب باتجاه الجنوب.

2–القرم : وهو تشكل جيوبولتيكي خاص يتميز تقليدات بموازيكيته الأثنية ، فأهالي روسيا الصغرى وروسيا الكبرى وتتار القرم منتشرون في القرم ضمن تكوين بالغ التعقيد ويمثلون ثلاثة دوافع جيوبولتيكية يناصب بعضها البعض العداء، فأبناء روسيا الكبرى متوجهون بصورة مشددة بالولاء لموسكو وبصورة أكثر عدوانية من بقية أوكرانيا حتى الشرقية منها، وأبناء روسيا الصغرى، وعلى العكس من ذلك في غاية التعصب القومي، أما تتار القرم فهم متجهون أكثر عدوانية لروسيا، أما تتار القرم فهم متجهون أكثر نحو تركيا وعلى علاقة عدوانية بروسيا.

3– القسم الأوسط من أوكرانيا من تشيرنيغوف وحتى أوديسا، والذي تقع كييف ضمنه، ويمثل منطقة مكتملة أخرى يسيطر فيها اتنيا اتنوس روسيا الصغرى ولغتها، ولكن الطائفة المسيطرة هي الأرثوذكسية، وهذه روسيا الصغرى الأرثوذكسية تمثل واقعا جيوبولتيكيا مستقلا يقترب ثقافيا من أوكرانيا الشرقية ويدخل دون شروط في النظام الجيوبولتيكي لتتار القرم[15].

4– أوكرانيا الغربية وهي غير متجانسة في الشمال قولين، منطقة قائمة بذاتها، جنوبا منطقة لقوقسكايا (غاليسيا) وإلى الأبعد جنوبا – زاكارباتيه (النتوء الغربي)، وأخيراً القسم الشرقي من بيسارابيا، وجميع هذه المناطق تمثل مناط مستقلة ، وفي قولين يرجح الأونيات والكاثوليك ، وتنتمي هذه المنطقة ثقافيا الى القطاع الجيوبولتيكي الكاثوليكي من أوروبا الوسطى ، واللوحة نفسها تقريبا في غاليتسيا وزاكارباتيه، على الرغم من أن هذه المناطق الأكثر تطرفاً إلى الجنوب تمثل واقعا جيوبولتيكيا قائما بذاته، فقولين مرتبطة تاريخياً ببولندا أما غاليتسيا وزاكارباتيه فإمبراطورية النمسا والمجر، فالأراضي البيسارابية من أوكرانيا مأهولة بخليط سكاني حيث أبناء روسيا الصغرى وروسيا الكبرى يختلطون بالرومانيين والمولدافيين، وهذه المنطقة أرثوذكسية عمليا

[15] ألكسندر دوغين، المرجع السابق، ص 432.

بكاملها وتمثل شريطا أرثوذكسيا ينطل في صورة خط مندرف من روسيا الكبرى الى البلقان نحو صربيا ومجموع القطاع من بيسارابيا حتى أوديسا ينبغي نسبه الى المدى الجيوبولتيكي الأوكراني.[16]

كما أن أراضي أوكرانيا الحالية كانت مركز السلافيين الشرقيين في عهد الإمبراطورية الروسية ، وبعد ذلك خضعت للاتحاد السوفيتي لفترة ثلاث أرباع القرن، والتي أصبحت مقسمة إلى اثنتي عشر دولة، فيها نحو 20 مليون فرد ممن يتحدثون اللغة الروسية ، وإن استقلال أوكرانيا أصبح يشكل تحدي لطموح روسيا على أنها هي الوصية والأم الشرعية للهوية السلافية المشتركة الممنوحة لها بقدسية الكنيسة الأرثوذكسية، وقد وجد أوكرانيا نفسها دولة حديثة تسعى لبناء هوية جديدة للتخلص من الهيمنة الروسية ، واستعمال سيادتها الوطنية وإلا أنها لم تستطع بعد حسم هويتها بحكم موقعها الجغرافي الذي أوضعها كدولة تماس بين روسيا من ناحية، وأعضاء حلف الشمال الاطلسي من ناحية أخرى.[17]

هكذا يكون تم التعرف على أهمية أوكرانيا بالنسبة لروسيا من عدة نواحي منها: الأهمية الاقتصادية على الصعيد الزراعي والصناعي والتجاري، والأهمية الجيبولوتيكية حيث تعتبر أوكرانيا ذات موقع استراتيجي ودولة محورية مهمة لروسيا، وكونها جسر بين روسيا والدول الأوروبية، والأهمية الحضارية حيث أن هناك صلة حضارية بين السكان الأوكرانيين والروس دينياً وعرقياً وحتى هناك ارتباط في اللغة الروسية، لذلك روسيا تعتبر أوكرانيا مهمة لها وتسعى لاحتلالها والسيطرة عليها، وفي المبحث الثاني سيتم تسليط الضوء على الدوافع التي أدت إلى الاحتلال الروسي على أوكرانيا، والحديث عن جذور الصراع بينهم، وإجراء مقارنة بين الاحتلال الروسي لأوكرانيا وسوريا المقارنة ستكون بين أدوات التدخل في كلا البلدين.

[16] ألكسندر دوغين، المرجع السابق، ص 432.
[17] بوستي توفيق، مرجع سابق، ص 215.

المبحث الثاني: السياسة الخارجية الروسية اتجاه أوكرانيا

لم تسير العلاقات الأوكرانية الروسية على وتيرة واحدة منذ انهيار الاتحاد السوفييتي عام 1991م، واستقلال أوكرانيا عنه، حيث أن الأزمة بين روسيا وأوكرانيا تعود إلى عام 2013م، سيتم الحديث عن الخلفية التاريخية للأزمة بين البلدين حتى الوقت الحاضر، والدوافع التي أدت إلى التدخل الروسي بأوكرانيا في عام 2022م.

المطلب الأول: التدخل الروسي في أوكرانيا عام 2022م.

تعود بداية الأزمة بين البلدين روسيا_ أوكرانيا إلى 21 تشرين الثاني 2013م عندما أوقف الرئيس الأوكراني المؤيد لروسيا في ذلك الوقت "فيكتور يانوكوفيتش" الاستعدادات لتنفيذ اتفاق الشراكة مع الاتحاد الأوروبي، وتبع هذا الإيقاف تظاهرات واحتجاجات واسعة النطاق، وصدامات بين التنظيمات الانفصالية والقوات الحكومية الأوكرانية، في العاصمة الأوكرانية، وتفاقم الوضع أكثر في المناطق الشرقية والجنوبية المحاذية لروسيا، وما يميّز هذه المناطق، أن الغالبية من سكانها تتحدث اللغة الروسية، وداعمة للرئيس يانوكوفيتش.[18] ومع تزايد الاحتجاجات واشتدادها من قِبل معارضي قرار الرئيس، وتحولها إلى ثورة كبيرة أدت إلى الإطاحة به في 22 شباط 2014م من قِبل البرلمان، وتم تعيين رئيس برلمان أوكرانيا "ألكسندر تورتشينوف" بدلاً منه، ونتيجة لذلك سيطرت روسيا على شبه جزيرة القرم عام 2014م في واحدة من أكبر العمليات، وهي من المناطق التي كانت تتمتع بحكم ذاتي، وفرضت كنتيجة للوضع اتفاقات لوقف إطلاق النار، اعتبرتها أوكرانيا غير مناسِبة لها، كما نشبت حرب في أوبلاست دونيتسك ولوهانسك أوبلاست بين الانفصاليين الموالين لروسيا والحكومة الأوكرانية، وردت الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الأوروبي بفرض عقوبات على روسيا

[18] خالد شنيكات، الأزمة بين روسيا وأوكرانيا: قراءة في الأسباب وسياقات التطور المستقبلية، الغد، 2022م، على الرابط التالي: https://cutt.us/hP4

نتيجة غزوها جزيرة القرم، لكن العقوبات لم تترك أثراً فعلياً على الاقتصاد الروسي، فالاقتصاد الروسي بقي مستقراً، ولم تستعيد أوكرانيا أراضيها، لكن النزاع بقي مستمراً وقابل للانفجار في أي لحظة مع إعادة تموضع القوات العسكرية الروسية على الحدود المتاخمة لأوكرانيا، وهذا ما حصل مع بداية عام 2022م حيث كان الاحتلال الروسي لأوكرانيا.[19]

وقد وقعت الحكومة الأوكرانية أكثر من اتفاق مع الانفصالين برعاية روسيا ومنظمة الأمن والتعاون في أوروبا في عام 2014م، اتفاقات منسيك:

اتفاق منسيك الأول، ومن بنوده:

1. ترسيخ وقف إطلاق النار، وتأسيس منطقة عازلة بين قوات الحكومة والانفصاليين الموالين لروسيا بمسافة 30 كيلومتراً.
2. سحب المجموعات المسلحة جميعها وكذلك التجهيزات العسكرية والمقاتلين والمرتزقة" إلى الحدود الخارجية للمنطقة العازلة.
3. وقف استخدام أنواع الأسلحة كافة سواء الأسلحة الثقيلة أو الخفيفة ومنع استخدام الطائرات من دون طيار.

اتفاق منسيك الثاني:

1. زيادة المنطقة العازلة إلى ما بين 50-140 كيلومتراً، وسحب الأسلحة الثقيلة.
2. انسحاب الجيش الأوكراني إلى جهة الغرب بعد سيطرة الانفصاليين على أراضٍ جديدة، أما الأراضي التي تم الاستيلاء عليها فتكون ضمن المنطقة العازلة الموسعة.
3. إطلاق سراح الأسرى والرهائن المعتقلين منذ عام 2014 وانسحاب المجموعات المسلحة والمرتزقة بمراقبة منظمة الأمن والتعاون الأوروبي في أوروبا، وإصدار عفو عن المقاتلين.
4. تنظيم انتخابات وفقاً للقوانين المحلية الأوكرانية ولتحديد الوضع المستقبلي لمنطقتي دونيتسك ولوهانسك.
5. وضع دستور جديد بحلول نهاية عام 2015، يتيح اللامركزية في منطقتي دونيتسك ولوهانسك بالاتفاق مع ممثلي المنطقتين.

[19] خالد شنيكات، الأزمة بين روسيا وأوكرانيا: قراءة في الأسباب وسياقات التطور المستقبلية، المرجع السابق.

لكن كلا الاتفاقين دار حولهم جدل من قبل أوكرانيا والانفصاليين، وفعلياً لم يتم التنفيذ، إذ إن الانفصاليين يتطلعون إلى تحقيق مكاسب أكبر وكذلك الحكومة الأوكرانية، وأوكرانيا تتهم روسيا بأنها تسعى إلى تنفيذ الاتفاق برؤية وأهداف روسية.[20]

مع دخول عام 2022م قامت روسيا بشن هجوم عسكري على أوكرانيا أشبه باحتلال، وبرر الرئيس الروسي فلاديمير بوتين هذا التدخل بأن أوكرانيا ذات الميول الغربية أصبحت تشكل تهديد دائم لروسيا، وأن روسيا لا تستطيع أن تشعر "بالأمان والتطور.

وقد حدد الرئيس الروسي فلاديمير بوتين بداية غزوه لأوكرانيا عدة أهداف، لكنها تقلصت أثناء الحرب التي افترض أنها ستنتهي بانتصار سريع لصالحه، وكان يدعي أنها عبارة عن "عملية عسكرية خاصة" ولم يعترف بأنها غزو أو حرب على أوكرانيا، فالهدف الأول للرئيس الروسي هو اجتياح أوكرانيا وإقالة حكومتها، وإنهاء رغبتها في الانضمام إلى حلف شمال الأطلسي "الناتو" الدفاعي الغربي.[21]

كشفت الحرب الروسية المتواصلة على أوكرانيا عن ترسانة كبيرة من الأسلحة المستخدمة خلال المواجهات المندلعة بين الجانبين، وتستخدم روسيا خلال هجومها أسلحة عديدة، منها صواريخ غراد قصيرة ومتوسطة المدى (BM-21)، ومقاتلات سيخوي (إس يو)، وصواريخ كروز (جو -أرض)، ونوعيات عديدة من المدرعات والدبابات أبرزها (تي -72)، لكن السلاح الأبرز والأكثر فتكا، قاذف القنابل الحرارية(TOS-1) وهو واحد من أكثر أنظمة الأسلحة بالغة التأثير في ترسانة الأسلحة التقليدية الروسية[22].

ويُحمل هذا النظام الصاروخي على دبابات، وهو متعدد الإطلاق، ويرمي صواريخ حرارية تستخدم الأكسجين من الهواء المحيط لتوليد انفجار عالي الحرارة.

---

[20] خالد شنيكات، الأزمة بين روسيا وأوكرانيا: قراءة في الأسباب وسياقات التطور المستقبلية، الغد، 2022م، على الرابط التالي: https://cutt.us/hP4

[21] روسيا وأوكرانيا: ماذا يريد بوتين وهل ستنتهي روسيا حربها؟، BBC، 2022، على الرابط التالي: https://www.bbc.com/arabic/world-59450489.

[22] حسين مصطفى، أبرز الأسلحة المستخدمة في الحرب الروسية الأوكرانية (إنفوغراف)، عربي 21، 2022، على الرابط التالي: https://cutt.us/6ju44

وقال بوتين للشعب الروسي حول التدخل الروسي في أوكرانيا أن الهدف من التدخل هو "نزع السلاح من أوكرانيا واجتثاث النازية منها"، لحماية أولئك الذين تعرضوا لما وصفه بـ 8 سنوات من التنمر والإبادة الجماعية من قبل الحكومة الأوكرانية. وشدد على أن "احتلال الأراضي الأوكرانية ليس خطتنا، لا ننوي فرض أي شيء على أحد بالقوة"، لكن في الواقع لم يكن هناك نازيون ولا إبادة جماعية، فقد فرضت روسيا سيطرتها بقوة وحشية على عشرات البلدات والبلدان والمدن الأوكرانية.

يستمر القصف والقتال بين الحكومة الأوكرانية وروسيا، وبعد محادثات سلام عديدة تشير روسيا إلى أن روسيا لم تعد تسعى للإطاحة بالحكومة الأوكرانية، وتهدف بدلا من ذلك إلى أن تصبح أوكرانيا محايدة.[23]

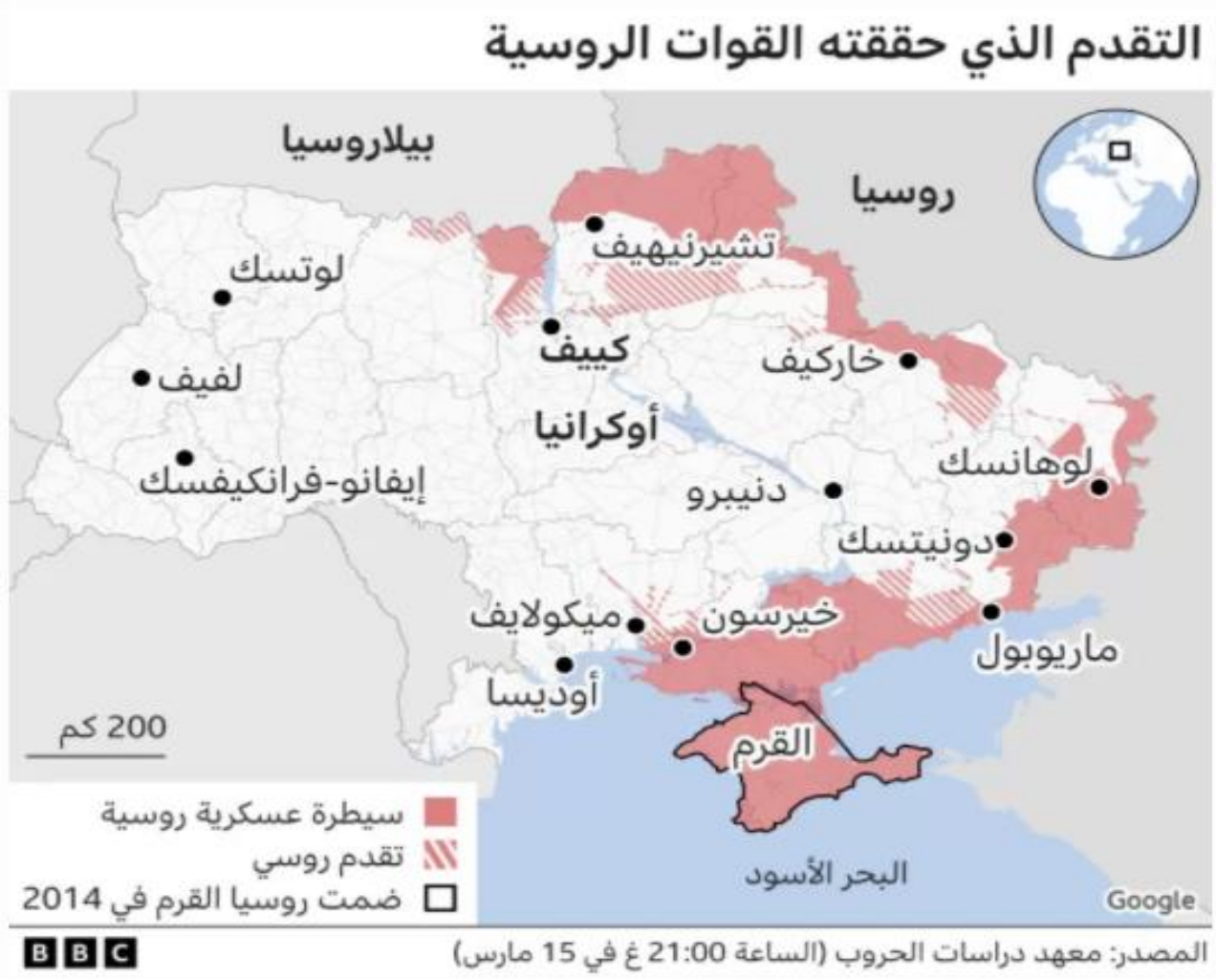

[23] روسيا وأوكرانيا: ماذا يريد بوتين وهل ستنهي روسيا حربها؟، مرجع سابق.

المطلب الثاني: مقارنة بين التدخل الروسي لكل من أوكرانيا وسوريا.

يختلف شكل التدخل الروسي في كل من أوكرانيا وسوريا باختلاف الأطراف التي تدعمها في كلا البلدين، ففي سوريا قامت بدعم النظام الحاكم منذ اندلاع ثورة شعبية ضده عام 2011م، أما في أوكرانيا قامت بدعم الانفصاليين ضد الحكومة أوكرانية.

لقد كان الاتحاد السوفييتي السابق أول الدول التي اعترفت باستقلال سوريا وأقامت معها علاقات دبلوماسية، وتعززت العلاقات السورية الروسية بشكل كبير إلى مستوى التحالف الاستراتيجي، وكان ذلك مع وصول حافظ الأسد إلى الحكم، وبعد خروج السوفييت من مصر أضطر الكرملين للبحث عن بدائل أخرى في الشرق الأوسط ليبني معها تحالفات جديدة يقوي بها نفوذه في المنطقة وقد كان كل من سوريا والعراق من أفضل البدائل، وكانت تقدم القيادة السوفيتية الدعم الكبير لسوريا في المحافل الدولية، وبقيت العلاقات الروسية السورية مستمرة، وقد أظهرت روسيا أهمية كبيرة تجاه الثورة السورية منذ اندلاعها عام ٢٠١١م، فمنذ بداية اندلاع الثورة السورية كان موقف روسيا موقف دعم وتأييد للنظام الأسد في مواجهة الثورة الشعبية، وعملت على دعمه سياسياً وعسكرياً وهذا الدعم لسوريا كان وراءه مصالح عديدة لروسيا من أهمها:

1- كي تحافظ روسيا على هيبتها ومكانتها حيث أن عدم تدخلها في سوريا يعني أنها غير قادرة على حماية حلفاءها، وقد كان التدخل بطلب رسمي من النظام السوري للتدخل كي تسانده وتدعمه، وتدخلها في البداية سياسي وتطور مع بداية عام ٢٠١٥م إلى تدخل عسكري.

2 -عملت روسيا على دعم النظام السوري وحمايته من أجل كبح الجهود الأمريكية والغربية لإسقاطه ويمكن أن يوفر ذلك حضوراً قوياً لروسيا في كافة ملفات الشرق الأوسط .

وبذلك تسعى روسيا إلى إثبات وجودها وتقوية نفوذها لتكون في مواجهة امتداد قوة ونفوذ الولايات المتحدة الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط .

3- تخوف روسيا من عودة "مقاتلي القوقاز"، كانت بداية نشأة هذه التنظيمات حركات انفصالية لجمهوريات روسيا وتحول عدد منها لجماعات إسلامية رفضت الاستمرار تحت حكم روسيا وتعتبر القوقاز المركز الرئيسي لهم وقد نجحت السلطات الروسية في إضعاف المقاومة في القوقاز من خلال السماح لهذه

التنظيمات لنقل الصراع إلى سوريا وانخرطت هذه التنظيمات في الحرب السورية وتوزعت أفرادهم في التنظيمات الإسلامية المتطرفة وبعد نجاح التحالف الدولي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية بالقضاء على هذه التنظيمات في سوريا فكان أمامهم مسارين التحرك إما إلى بلد ذات رخوة أمنية أو العودة إلى بلادهم.[24] فقد اتجه البعض منهم نحو ليبيا بسبب الرخاء الأمني فيها وكانت تخشى روسيا من أن تعود هذه التنظيمات إلى القوقاز وتثير الصراعات مجدداً .

4- التخوف من وصول الإسلاميين إلى الحكم والحرب على الإرهاب: روسيا تخشى من وصول الإسلاميين إلى السلطة منذ بداية الثورة السورية كما حصل في بعض الثورات العربية التي شهدت صعود الأحزاب الإسلامية إلى الحكم كما أنها تدرج جماعة الإخوان المسلمين وعدد من الجماعات الإسلامية مثل تنظيم الدولة وجبهة النصرة ضمن قائمة المنظمات الإرهابية المتطرفة، تدخلت روسيا في الحرب السورية للقضاء على هذه التنظيمات لأنها تعتبر أنه سيكون لهذه التنظيمات امتداد خارج سوريا وربما يكون إلى الداخل الروسي، أيضاً فهي تخشى من وصول الإسلاميين إلى السلطة في الدول العربية الذي قد يؤدي إلى صعود الإسلاميين إلى الحكم في بلاد القوقاز.

أما تدخلها في أوكرانيا كان لدعم الانفصاليين من إقالة الحكومة الأوكرانية، وإنهاء رغبتها في الانضمام إلى حلف شمال الأطلسي "الناتو" الدفاعي الغربي، وكانت حجة الورس في التدخل أن هذا التدخل في أوكرانيا لأنها دولة ذات ميول غربية وأصبحت تشكل تهديد وخطر دائم لروسيا، وأن روسيا لا تستطيع أن تشعر "بالأمان والتطور.

التدخل الروسي في سوريا لم يكن تدخل عسكري مباشر كما في أوكرانيا، لقد كان تدخل روسيا في سوريا تدخل ودعم سياسي لنظام الأسد، فمع اندلاع الاحتجاجات في سوريا عام 2011م قامت قوات النظام بقمع المتظاهرين الذين خرجوا ضد النظام السوري فسعت الدول العربية لإصدار قرار من مجلس الأمن يدين السلطات السورية لاستخدامها العنف في قمع المتظاهرين وكان دور روسيا هو أفشال صدور هذه القرارات ضد النظام الأسد، وقد أعلن الرئيس الروسي السابق ميدفيديف في أواخر عام ٢٠١١م عن رفض روسيا أي

[24] محمود رشدي، دواعش القوقاز وخطر العودة إلى أوروبا، مركز سيمو باريس للدراسات وأبحاث استشرافية حول الإسلام الحركي، 2018، على الرابط التالي: https://www.almarjie-paris.com/3203.

عقوبات تصدر من مجلس الأمن على النظام السوري، وبما أن قرار مجلس الأمن بالتدخل أو استخدام القوة لن يكون مشرعاً إذا تم رفض الدول التي تمتلك مقعداً دائماً في مجلس الأمن ولديها حق النقض "الفيتو"،[25] وقامت بدعم نظام الأسد مرات عدة من خلال استخدامها حق النقض ضد أي قرار يدين النظام السوري، ولم تقوم بأي تدخل عسكري حتى عام 2015م، وتدخلها العسكري في سوريا لم يكن كما في تدخلها في أوكرانيا فقد اعتمدت في سوريا على المرتزقة والشركات الأمنية مثل شركة "فاغنر" الأمنية وشركة "سلاف كوربس" وروسيا لا تعترف رسمياً بوجود هذه الشركات الأمنية المرتزقة في صفوفها القتالية في سوريا، وفي روسيا كان تدخلها العسكري المباشر بقوات الجيش الروسي الرسمية واستعانتها أيضا بمرتزقة.

تتمتع روسيا بامتلاكها لواحد من أكثر جيوش العالم تطوراً من الناحية التكنولوجية، حيث يتميز بقدرات استخباراتية متقدمة، هذا إلى جانب إمكانياته في الحرب الإلكترونية والمعلوماتية والسيبرانية والاستخباراتية.

وسخرت روسيا بشكل جزئي إمكانياتها التقنية في عملياتها العسكرية بأوكرانيا، فكان الذكاء الاصطناعي والاستخبارات المضادة، والتي تقوم على اكتساب نظرة ثاقبة حول نشاط العدو، والعمل على تشويه وجهة نظره، من بين الأسلحة التي أقحمت في المعركة مع كييف والداعمين لها، وتجمع الاستخبارات كميات هائلة من البيانات من مصادر مفتوحة مثل الأخبار ووسائل التواصل الاجتماعي وغيرها من المصادر المتاحة للجمهور، هذا بالإضافة إلى مصادر سرية، وتستخدم الذكاء الاصطناعي لتحليل كل تلك المعلومات.[26]

وهذا ما استخدمته روسيا منذ بداية الغزو الروسي على أوكرانيا، لكنها لم يكن فاعل في حربها في سوريا، أو أنها استخدمت الحرب السيبرانية بشكل قليل.

[25] بن ورخو زهية، العلاقات العسكرية الروسية الإيرانية في ظل الأزمة السورية خلال الفترة 2011-2017، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية العلوم السياسية، جامعة زين عاشور، 2017، ص 53.

[26] ناورز خليل، الأزمة الأوكرانية والحرب السيبرانية، أدواتها واستراتيجياتها، skynewsarabia، 2022م، على الرابط التالي: https://cutt.us/iNYkU .

أما الأسلحة التي استخدمتها في أوكرانيا هي شبيهة بالأسلحة التي استخدمتها في سوريا منذ بداية عام 2011م، حيث تظهر روسيا من خلال هذه التصريحات وأخرى مشابهة أنها استفادت من تدخلها في الحرب السورية والذي اعتبر نقطة التحول التي سمحت لنظام الأسد بالبقاء في الحكم واستعادة السيطرة على مناطق واسعة من البلاد، ومع بدء الغزو الروسي لأوكرانيا، حذر مسؤولون غربيون من احتمال لجوء روسيا إلى استخدام تلك الأسلحة وغيرها من "الأسلحة غير التقليدية" في أوكرانيا، مشيرين إلى أن موسكو استخدمتها في سوريا، كما نقلت عنهم وكالة الأنباء الألمانية، ويستحضر الهجوم الروسي على أوكرانيا لدى البعض صور الحرب السورية، ويثير مخاوف من حرب كاسحة، مع مشاهد القصف المكثف والمدمّر والاتهامات بارتكاب "جرائم حرب" واستخدام أسلحة محظورة، وهي اتهامات وجهتها منظمتا العفو الدولية وهيومن رايتس ووتش لموسكو في كل من سوريا وأوكرانيا. وقد حذر البيت الأبيض من أن روسيا ربما تخطط لهجوم بأسلحة كيمياوية أو بيولوجية في أوكرانيا في أعقاب مزاعم روسية بأن كييف تقوم بتطوير أسلحة نووية أو بيولوجية. وقال مسؤول غربي إن روايات مماثلة وردت من روسيا قبل "استخدام الأسلحة الكيماوية" في سوريا.[27]

وتركز وسائل الدعاية الروسية على بث حالة من الذعر في سياق حرب نفسية موازية للمعارك العسكرية في أوكرانيا. وينظر مراقبون إلى طريقة الترويج لانضمام المقاتلين الشيشان المعروفين بشراستهم إلى المعركة على أنه أحد الأسلحة المهمة في الحرب النفسية، ونشرت القنوات الدعائية الروسية مقطع فيديو يرصد تجمعا للآلاف من الشيشان في جنوب أوكرانيا بينما يصلي المئات من المقاتلين منهم في الغابة قبل المعركة، وكان الزعيم الشيشاني رمضان قديروف قد تعهد بالاستيلاء على كييف، وزعمت دعاية الدولة الروسية وشبكة قنوات تلغرام الموالية للكرملين والتي تم استخدامها لضخ حرب المعلومات أن ما بين 10 آلاف و70 ألف مقاتل شيشاني الذين وصفهم قديروف بـ"المتطوعين" يتوجهون إلى أوكرانيا لدعم قوات موسكو الرئيسية، وانتشر مقطع فيديو على نطاق واسع يظهر فيه مقاتلون شيشان يطّلعون على أسلحة وسيارات في مستودع إمداد أوكراني تم الاستيلاء عليه.[28]

---

[27] هذا ما تطبقه روسيا من "التجربة السورية" في أوكرانيا!، على الرابط التالي: https://cutt.us/oVJ54 .

[28] الحرب النفسية في أوكرانيا على أشدها: الشيشان قادمون، العرب، 2022م، على الرابط التالي: https://cutt.us/Rgzd7 .

هكذا فإن روسيا تستخدم الحرب النفسية بجانب الحرب العسكرية المباشرة في أوكرانيا، وهذا ما فعلته في سوريا من خلال قنوات التلغرام والقنوات الإخبارية التابعة لنظام الأسد.

قامت روسيا في حربها في أوكرانيا بقتل المدنيين بينهم نساء وأطفال، وقصفها للمؤسسات العامة من مشافي ومدارس وغيرها، وتهجر عدد كبير من الأوكرانيين خارج بلادهم منذ بداية احتلال أوكرانيا لبلادهم، وهذا ما تقوم به روسيا في سوريا منذ بداية تدخلها عام 2015م، من قصف وتهجير وقتل المدنيين.

هكذا فإن روسيا قامت بدعم النظام الحاكم في سوريا ودعمت الانفصاليين ضد النظام الحاكم في أوكرانيا، قامت بدعم النظام السوري في البداية سياسياً عام 2011م وتحولت لدعمه والتدخل العسكري في سوريا عام 2015م، وكان تدخلها في أوكرانيا تدخل عسكري مباشر في شباط عام 2022م، وقد اعتمدت في أوكرانيا على الجيش الروسي الرسمي والمرتزقة، أما في سوريا اعتمدت على الشركات الأمنية والمرتزقة كما ذُكر سابقاً.

وقد استخدمت روسيا في أوكرانيا الأسلحة التي استخدمتها في سوريا ومارست من خلالها القتل والقصف والتدمير وتهجير وقتل المدنيين في كلا البلدين.

وقد مارست روسيا الحرب النفسية في كل من أوكرانيا وسوريا، لكن استخدامها للحرب السيبرانية في أوكرانيا أكثر من استخدامها لها في سوريا.

الخاتمة:

في نهاية هذا البحث يمكن معرفة ما تملكه أوكرانيا من أهمية بالنسبة لروسيا، حيث أنها تملك أهمية اقتصادية كبيرة على جميع المستويات الزراعية والتجارية والصناعية.

كما تمتلك أوكرانيا أهمية جيبولوتيكية كبيرة بالنسبة لروسيا نتيجة موقعها الاستراتيجي المهم في شرق أوروبا، ومجاورتها للحدود الروسية.

أيضاً معرفة جذور المشكلة الروسية–الأوكرانية تاريخياً، وأسباب ودوافع التدخل العسكري الروسي في أوكرانيا عام 2022م.

وأدراك السياسة الوحشية التي تعتمدها روسيا في حروبها مع الدول، من خلال إجراء مقارنة بين التدخل الروسي في أوكرانيا عام 2022م، وتدخلها ففي سوريا عام 2015م،

وأن روسيا قامت بدعم النظام الحاكم في سوريا ودعمت الانفصاليين ضد النظام الحاكم في أوكرانيا، حيث قامت بدعم النظام السوري في البداية سياسياً عام 2011م وتحولت لدعمه والتدخل العسكري في سوريا عام 2015م، وكان تدخلها في أوكرانيا تدخل عسكري مباشر في شباط عام 2022م، وقد اعتمدت في أوكرانيا على الجيش الروسي الرسمي والمرتزقة، أما في سوريا اعتمدت على الشركات الأمنية والمرتزقة كما ذُكر سابقاً، وقد استخدمت روسيا في أوكرانيا الأسلحة التي استخدمتها في سوريا ومارست من خلالها القتل والقصف والتدمير وتهجير وقتل المدنيين في كلا البلدين، والحرب النفسية في كل من أوكرانيا وسوريا، لكن استخدامها للحرب السيبرانية في أوكرانيا أكثر من استخدامها لها في سوريا.

المراجع:

1- محمد السيد سليم، تحليل السياسة الخارجية، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثانية، 1998.
2- بوستي توفيق، توجهات السياسة الخارجية الروسية نحول دول أوروبا الشرقية: دراسة حالة أوكرانيا، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة الجزائر، 2016.
3-محمد الكوخي، الأزمة الأوكرانية وصراع الشرق والغرب: جذور المسألة ومآلاتها، المركز العربي للأبحاث والدراسات السياسية، 2015.
4-ممدوح عبد المنعم، روسيا تنادي بحق العودة على القمة، مركز الأهرام للترجمة والنشر، ط1، 2013.
5-ألكسندر دوغين، أسس الجيوبوليتيكا: مستقبل روسيا الجيوبولتيكي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2004م.
6-بن ورخو زهية، العلاقات العسكرية الروسية الإيرانية في ظل الأزمة السورية خلال الفترة 2011-2017، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية العلوم السياسية، جامعة زين عاشور، 2017.
7-إيمان أشرف أحمد محمد شلبي، الأبعاد الدولية للأزمة الأوكرانية، المركز الديمقراطي العربي1ن 2016، على الرابط التالي: https:// u.pw/hfNRF2 .
8-عماد علو، الأبعاد الاستراتيجية لإعادة روسيا ضم شبه جزيرة القرم، 2014، على الرابط التالي: www.azzaman.com .

9-خالد شنيكات، الأزمة بين روسيا وأوكرانيا: قراءة في الأسباب وسياقات التطور المستقبلية، الغد، 2022م، على الرابط التالي: shP4https://cutt.us/h

10-روسيا وأوكرانيا: ماذا يريد بوتين وهل ستنهي روسيا حربها؟، BBC، 2022، على الرابط التالي: 59450489https://www.bbc.com/arabic/world-.

11-حسين مصطفى، أبرز الأسلحة المستخدمة في الحرب الروسية الأوكرانية (إنفوغراف)، عربي 21، 2022، على الرابط التالي: 6ju44https://cutt.us/

12-حمود رشدي، دواعش القوقاز وخطر العودة إلى أوروبا، مركز سيمو باريس للدراسات وأبحاث استشرافية حول الإسلام الحركي، 2018، على الرابط التالي: https://www.almarjie-paris.com/3203.

13-ناورز خليل، الأزمة الأوكرانية والحرب السيبرانية، أدواتها واستراتيجياتها، skynewsarabia، 2022م، على الرابط التالي: https://cutt.us/iNYkU .

14-هذا ما تطبقه روسيا من "التجربة السورية" في أوكرانيا!، على الرابط التالي: oVJ54https://cutt.us/ .

15-الحرب النفسية في أوكرانيا على أشدها: الشيشان قادمون، العرب، 2022م، على الرابط التالي: d7https://cutt.us/Rgz .